عاشت الثورة الثقافيـة

البروليتارية الكبرى

افتتاحية مجلة «العلم الأحمر» (هونغتشي) العدد ٨، ١٩٦٦

دار النشر باللغات الأجنبية

بكين ١٩٦٦

طبع في جمهورية الصين الشعبية

مكتبة ماو تسي تونغ للعرب
https://sites.google.com/site/maoforarab

نسخها للإنترنت الصوت الشيوعي
https://sites.google.com/site/communistvoice
communistvoice@yahoo.com

تتفجر ثورة ثقافية بروليتارية جماهيرية كبرى لم يعرف لها مثيل في التاريخ تحت القيادة المباشرة للرئيس ماو تسي تونغ ولجنة الحزب المركزية، وهي تتفجر الآن بسرعة وعنف وبقوة الانهيار الجليدي التي لا تقاوم.

وبرفع الراية الحمراء العظمى لأفكار ماو تسي تونغ عاليا، تجتاح الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود والكوادر الثوريين والمثقفين الثوريين ممثلي البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب، وتسحق جميع الغيلان كما تجتاح أشكال ايديولوجية البرجوازية والاقطاعية المتعفنة كافة. ونتيجة لذلك ظهر الآن وضع ممتاز لا مثيل له في النواحي السياسية والايديولوجية والثقافة.

ان هذا صراع طبقي حاد ومعقد للغاية لـ ''تنمية الايديولوجية البروليتارية وتصفية الايديولوجية البرجوازية'' في المجال الايديولوجي للبناء الفوقي. انه صراع حياة او موت بين البرجوازيين الذين يريدون اعادة الرأسمالية وبين البروليتاريا التي تقاوم ذلك. وهذا الصراع يؤثر على مسألة امكان ام عدم امكان تعزيز وتطوير ديكتاتورية البروليتاريا والقاعدة الاقتصادية الاشتراكية في بلادنا، ويؤثر على مسألة ان حزبنا وبلادنا سوف يغيران لونهما ام لا يغيرانه. ويؤثر ايضا على مصير ومستقبل حزبنا وبلادنا وثورة العالم. ولذلك لا نستخف ابدا بهذا الصراع.

فلماذا كان من الضروري شن الثورة الثقافية البروليتارية؟ ولماذا كانت هذه الثورة بالغة الأهمية؟

لقد لخص الرفيق ماو تسي تونغ بصورة علمية الخبرة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا العالمية، وطرح نظرية التناقضات والطبقات والصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي. وهو يذكرنا دائما بالا ننسى الصراع الطبقي ابدا، والا ننسى مطلقا وضع السياسة في المكان الاول، والا ننسى ابداً تعزيز ديكتاتورية البروليتاريا، واننا يجب ان نتخذ مختلف الخطوات لمنع اغتصاب التحريفية للقيادة ولمنع اعادة الرأسمالية. ويشير الرفيق ماو تسي تونغ الى ان الاطاحة بالسلطة السياسية من الضروري لها ان تُسبَق ببذل الجهود للقبض على زمام البناء الفوقي

والايديولوجية من اجل اعداد الرأي العام، وينطبق ذلك على الطبقات الثورية والطبقات المعادية للثورة على حد سواء. وانطلاقا من وجهة النظر الاساسية هذه، دعانا الرفيق ماو تسي تونغ الى شن الصراع الطبقي في المجال الايديولوجي لـ ''تنمية الايديولوجية البروليتارية وتصفية الايديولوجية البرجوازية''.

وتلكم حقيقة سامية وتطوير عظيم للماركسية اللينينية.

ويفسر التاريخ انه قبل استيلاء البرجوازية على زمام السلطة السياسية من طبقة الملاكين العقاريين الاقطاعيين امسكت أولا بزمام الايديولوجية واعدت الرأي العام. وابتداء من عصر ''النهضة العلمية''، ثابر البرجوازيون الاوروبيون على نقد الايديولوجية الاقطاعية وروجوا الايديولوجية البرجوازية. ولم يتم استيلاء البرجوازيين على السلطة السياسية واقامة ديكتاتورية لهم في البلدان الاوروبية الواحدة اثر الاخرى في القرنين السابع عشر والثامن عشر الا بعد اعداد الرأي العام خلال بضع مئات من السنين.

اما ماركس وانجلز فقد شرعا قبل ما يزيد على قرن في نشر تعاليم الشيوعية. وقاما باعداد الرأي العام لاستيلاء البروليتاريا على زمام السلطة السياسية. ولم تنجح ثورة البروليتاريا في روسيا وتستولي على زمام السلطة السياسية الا بعد عقود من اعداد الرأي العام. واما تجربتنا نحن فلا تزال جديدة في اذهاننا. فبروليتاريا الصين كانت ضعيفة ومجردة من السلاح حين اعتلت المسرح السياسي. فكيف بدأت الثورة؟ لقد بدأت بنشر الماركسية اللينينية وفضح الامبريالية وعملائها في الصين. وهكذا، بدأ نضال بروليتاريا الصين في سبيل القبض على زمام السلطة السياسية بالضبط مع ظهور الثورة الثقافية في الرابع من مايو ١٩١٩.

وفي التحليل النهائي، يعتبر تاريخ استيلاء بروليتاريا الصين على زمام السلطة السياسية هو تاريخ استيعاب أفكار ماو تسي تونغ لجماهير العمال والفلاحين والجنود. كما وصفتها الجماهير بصورة حقة: ''لو لا أفكار ماو تسي تونغ، لما كانت هناك صين جديدة''. وبدمج الماركسية اللينينية مع ممارسة الثورة الصينية، قام

الرفيق ماو تسي تونغ، حامل لواء الثورة العظيم، بتبديل الوضع الكامل للثورة الصينية. فالتجربة التاريخية تبين لنا ان أفكار ماو تسي تونغ مكنتنا من كسب التأييد المتزايد من الجماهير، ومن ايجاد قوات مسلحة واسلحة، ومن انشاء قواعد ثورية واحدة بعد أخرى، ومن الاستيلاء على زمام السلطة السياسية شيئا فشيئا، والقبض على زمام السلطة السياسية في الوطن كله في النهاية.

واصبحت البروليتاريا، باستيلائها على السلطة السياسية، هي الطبقة الحاكمة، اما طبقتا الاقطاع والبرجوازية فقد أصبحتا طبقتين محكومتين. ولكن الطبقة الاقطاعية والبرجوازيين الرجعيين لا يرضخون ابدا للواقع سواء من ناحية انهم محكومون او من ناحية انهم قد انتهوا. فهم يحلمون دائما بالعودة عن طريق قلب ديكتاتورية البروليتاريا، ويحاولون عبثا اعتلاء ظهور الشغيلة من جديد. وما تزال لديهم قوة كبيرة، ولديهم مال، ولهم اتصالات اجتماعية وروابط عالمية واسعة، وعندهم تجارب في معاداة الثورة، وما تزال لايديولوجية الطبقات المستغِلة، على الاخص، سوق رائجة. فبعض العناصر المتذبذبة بين صفوف الثورة عرضة للفساد بتأثير ايديولوجية الطبقات المستغِلة وقد تغدو بعد ذلك معادية للثورة. هذا بالاضافة الى ان التطور العفوي للبرجوازية الصغيرة تولد الرأسمالية بلا انقطاع. ولهذا فالبروليتاريا، بعد استيلائها على السلطة السياسية تظل تواجه خطر فقدان هذه السلطة. والنظام الاشتراكي لا يزال يواجه خطر عودة الرأسمالية بعد تأسيسه. وعدم ايلاء الاهتمام الكبير لذلك وعدم اتخاذ الخطوات الضرورية ازاء ذلك، سيؤدي الى تغيير لون حزبنا وبلادنا، وسيكون ثمنه أرواح الملايين من أبناء شعبنا.

كما ان الايديولوجية البرجوازية والاقطاعية لا تزال أهم حصون الطبقات الاقطاعية والبرجوازية المطاح بها بعد التحويل الاشتراكي لملكية وسائل الانتاج. فالجهود التي تبذلها تلك الطبقات المطاح بها في سبيل العودة توجه اولا نحو السيطرة على الناحية الايديولوجية، وتستخدم افكارها المتعفنة بكل طريقة ممكنة لتضليل الجماهير. وليست سيطرة البرجوازيين على الناحية الايديولوجية وتشكيل

الرأي العام الا استعدادا لقلب ديكتاتورية البروليتاريا. وحين تحين الفرصة، ستقوم عن طريق او آخر بانقلاب للاستيلاء على السلطة السياسية.

وبعد اقامة علاقات الانتاج الاشتراكية، في الاتحاد السوفياتي لم تقم هناك ثورة ثقافية بروليتارية بشكل جدي فتفشت الايديولوجية البرجوازية بصورة متزايدة، مفسدة عقول ابناء الشعب وناسفة علاقات الانتاج الاشتراكية بدون ان يشعر بها احد. وبعد وفاة ستالين، جرى بعلانية اكثر تشكيل رأي عام معاد للثورة من قبل طغمة خروشوف التحريفية التي قامت بعد ذلك في الحال بانقلاب ''داخل القصر'' واغتصبت سلطة الحزب والسلطة العسكرية والحكومية لقلب ديكتاتورية البروليتاريا.

وفي الحادث المعادي للثورة الذي وقع في المجر عام ١٩٥٦، اعد المعادون للثورة ايضا الرأي العام قبل انطلاقهم الى الشوارع لخلق الاضطرابات والفوضى. وكان هذا الحادث المعادي للثورة تحت تدبير الامبريالية شرعت به جماعة من المثقفين المعادين للشيوعية من نادي بيتوفي. ومنهم امري ناغي الذي كان ما يزال، في ذلك الحين، يضع شارة الشيوعي على صدره، ف ''ارتدى حلة الملك'' وغدا رئيسا لاعداء الثورة.

وتفسر لنا التجربة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا العالمية ان ديكتاتورية البروليتاريا لا يمكن ان تُعَزز وان النظام الاشتراكي لا يمكن ان يوَطَد الا اذا جرت هناك ثورة ثقافية بروليتارية وبُذِلَت الجهود الدائبة لتصفية الايديولوجية البرجوازية. ويؤدي حتما اطلاق الايديولوجية البرجوازية من عقالها الى قلب ديكتاتورية البروليتاريا وظهور ممثلين للبرجوازية امثال خروشوف يستولون على السلطة السياسية عن طريق انقلاب ''داخل القصر'' او انقلاب عسكري او عن طريق الاثنين مجتمعين. فاذا اريد تعزيز ديكتاتورية البروليتاريا، واذا اريد توجيه بلاد تحت ظل ديكتاتورية البروليتاريا نحو الاشتراكية والشيوعية فلا بد من شن ثورة ثقافية بروليتارية، ولا بد من تنمية الايديولوجية البروليتارية وتصفية الايديولوجية

البرجوازية، ومن الضروري اجتثاث جذور الايديولوجية التحريفية، ومن الضروري غرس جذور الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ بشكل حازم.

وتتطلب الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي أعمالا نشيطة في مختلف الميادين. ويجب ان يمتد عبر هذه الأعمال خط أحمر وهو صراع طبقي بين البروليتاريا والبرجوازية، صراع بين الطريق الاشتراكي والطريق الرأسمالي، صراع طبقي بين البروليتاريا والبرجوازية في المجال الايديولوجي.

ويعلمنا الرفيق ماو تسي تونغ:

''ان الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية، والصراع الطبقي بين مختلف القوى السياسية، والصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية في المجال الايديولوجي سوف يستمر الى وقت طويل وسيكون ملتويا بل سيصبح حادا جدا احيانا. فالبروليتاريا تسعى لتحويل العالم وفق نظرتها للعالم، وكذلك تفعل البرجوازية. وفي هذه الناحية، فان مسألة من سينتصر، الاشتراكية ام الرأسمالية لم تحل بعد.'' (''حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب'')

ان غرض الثورة الثقافية البروليتارية هو تسوية مسألة ''من سينتصر'' في المجال الايديولوجي بين البروليتاريا والبرجوازية. وهذه مهمة تاريخية طويلة الامد وعسيرة في كل ميدان من ميادين العمل.

ويعتبر بعض الرفاق ان الجدل الذي يجري بين البروليتاريا والبرجوازيين الرجعيين في الصحافة ''جدل تافه على الورق'' بين رجال الأدب. ولا يهتم بعض الرفاق، وهم منهكون في عملهم، بالصراع على الجبهتين الايديولوجية والثقافية والصراع الطبقي في المجال الايديولوجي. ان ذلك أمر خاطيء قطعا وخطير للغاية. فاذا تُركَ الحبل على الغارب للايديولوجية البرجوازية فستغدو ديكتاتورية البروليتاريا ديكتاتورية للبرجوازية، وسيصبح النظام الاشتراكي نظاما رأسماليا او نظاما شبه مستعمر وشبه اقطاعي. فيجب ان ندعو هؤلاء الرفاق ونقول لهم: ايها

الرفاق! ان العدو يشحذ سيفه، ويريد حز رؤوسنا، ويريد قلب سلطة دولتنا. فكيف ترون ذلك وتسمعونه ولا تبدون اهتماما به؟

ان كلا من الاستيلاء على السلطة السياسية وتعزيزها يعتمد على القلم والبندقية. واذا اردنا صيانة القضية الثورية ودفعها الى الامام، فعلينا أن نقبض على البندقية بحزم وعلينا ايضا ان نمسك بقلم البروليتاريا لتحطيم واكتساح قلم البرجوازيين. ولا نستطيع تعزيز سلطة البروليتاريا السياسية والقبض على بندقية البروليتاريا بشكل أحزم الا باكتساح الايديولوجية البرجوازية بشكل تام.

فلننظر الى الصراع الطبقي على الجبهتين الايديولوجية والثقافية ولنرَ كم كان مثيرا مروعا.

ان الصراع في الجبهتين الايديولوجية والثقافية بين البروليتاريا والبرجوازية وبين الماركسية واعداء الماركسية لم يتوقف قط منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية. وبعد اقامة علاقات الانتاج الاشتراكية، غدا هذا الصراع الطبقي في المجال الايديولوجي أعمق وأكثر تعقيدا وحدة.

وفي عام ١٩٥٧ شن اليمينيون البرجوازيون هجوما محموما على الحزب والاشتراكية. وقبل اماطة اللثام عن تحالف السياسيين الرجعيين وعلى رأسهم تشانغ به جيون ولو لونغ تشي نشر المثقفون البرجوازيون اليمينيون كثيرا من الأعشاب السامة ابان ذلك الهجوم، وظهرت مجموعة بعد اخرى من وجهات النظر المعادية للثورة والبرامج السياسية المعادية للثورة والافلام والروايات المعادية للثورة. ومن الواضح انها كانت جهودا مبذولة في سبيل اعداد الرأي العام لاستيلاء اليمينيين البرجوازيين على السلطة السياسية.

وتحت القيادة الحكيمة للجنة الحزب المركزية والرئيس ماو، صد الشعب الصيني ذلك الهجوم الجنوني الذي قام به اليمينيون البرجوازيون، واحرز انتصارات هامة في الجبهتين السياسية والايديولوجية.

وبعد ذلك، في عام ١٩٥٨، وتحت ظل الراية الحمراء الكبرى – الخط العام للبناء الاشتراكي، انطلق الشعب الصيني بحماس بالغ وبكل طاقته في القفزة الكبرى الى الامام في كل ميادين العمل، وانشأ الكومونات الشعبية بشكل شامل. وفي نفس الوقت، انهمكت جماهير العمال والفلاحين والجنود بحماس كبير في دراسة وتطبيق مؤلفات الرئيس ماو بصورة خلاقة. وابتدأت ايضا ثورة في الجبهتين الايديولوجية والثقافية.

وفيما بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٢، عانت الصين مصاعب اقتصادية مؤقتة نتيجة لما قام به المحرفون السوفييت من تخريب، ونتيجة لثلاث سنوات من الكوارث الطبيعية الخطيرة. بيد ان المصاعب لم ترهب الشعب الصيني الثوري، بل عمل بجد وانطلق الى الامام ببسالة تحت القيادة الحكيمة للجنة الحزب المركزية والرئيس ماو. وفي بحر سنوات قلائل، تغلب على المصاعب وظهر وضع ممتاز. الا ان المردة والشياطين خرجوا من جحورهم الواحد بعد الآخر خلال سنوات المصاعب الاقتصادية القلائل. وحتى بلغ هجوم البرجوازيين الرجعيين على الحزب والاشتراكية مستوى أكثر شراسة.

ففي حقل الدراسات الفلسفية، روج يانغ سيان تشن بشكل صارخ سفسطات تنكر التماثل بين الفكرة والوجود، محاولا اعاقة جماهير العمال والفلاحين والجنود من اطلاق مبادراتهم الذاتية، ولمناهضة القفزة الكبرى الى الامام. وتبعا لذلك، اتى بنظرية ''اثنين مندمجين في واحد''، وهكذا هيأ ''اساسا'' فلسفيا للخط السياسي الرجعي للغاية، ذلك الخط الذي يدعو الى المصالحة مع الامبريالية والرجعيين والتحريفية المعاصرة وتخفيض المساعدة والتأييد للنضال الثوري الذي تخوضه شعوب مختلف البلدان ويدعو ايضا الى توسيع قطع الأرض الخاصة بالاستعمال الشخصي والأسواق الحرة، وزيادة عدد المؤسسات التي تتحمل مسئولية ربحها وخسارتها وتحديد كميات الانتاج على اساس الوحدات. وقام ''الثقات'' المزعومون، ممثلو البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب، بتلويح هراوات ثلاث وهي

''الابتذال'' و ''فرط البساطة'' و ''البرغماتية'' لمناهضة دراسة وتطبيق مؤلفات ماو تسي تونغ بصورة خلاقة من قبل العمال والفلاحين والجنود. وزيادة على ذلك استغلوا مناصبهم وسلطتهم فمنعوا الصحافة من نشر المقالات الفلسفية التي كتبها العمال والفلاحون والجنود. وفي نفس الوقت، قام عدد من ''الاختصاصيين'' البرجوازيين، تحت ستار دراسة تاريخ الفلسفة، بالترويج الواسع لافكار ''الحرية والمساواة والاخاء'' وكالوا المديح لكونفوشيوس مستخدمين جثمان كونفوشيوس لترويج سلسلة كاملة من افكارهم البرجوازية.

وفي حقل الدراسات الاقتصادية، طرح صون يه فانغ وشركاؤه مجموعة كاملة من السفسطات التحريفية. فوضعوا الربح والمال موضع القيادة بدلا من احلال أفكار ماو تسي تونغ والسياسة في المكان الاول. وحاولوا عبثا تبديل علاقات الانتاج الاشتراكية وتحويل المؤسسات الاشتراكية الى مؤسسات رأسمالية.

وفي حقل الدراسات التاريخية، شنت شرذمة من ''الثقات'' البرجوازيين هجمات مسعورة على الثورة في الدراسات التاريخية التي ابتدأت في عام ١٩٥٨. فعارضوا وضع الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ في الموضع القيادي في عمل الابحاث التاريخية، ونشروا الرأي القائل بأن معطيات التاريخ هي الكل في الكل. واستخدموا ما يدعى بـ ''التاريخية'' لمقاومة النظرية الماركسية اللينينية حول الصراع الطبقي. وكانوا يحقدون بصفة خاصة على عاملي الابحاث التاريخية الثوريين الذين قاموا بتقدير ناقد للاباطرة والملوك والقادة ورؤساء الوزارات وابرزوا الفلاحين والحروب الفلاحية. اما تلك الشرذمة فقامت بكيل المديح جزافا للاباطرة والملوك والقادة ورؤساء الوزارات بينما افترت بكل شراسة على الفلاحين والحروب الفلاحية. فكانت تلك الشرذمة هي ''الملكيين'' البرجوازيين في حقل الدراسات التاريخية. وكان لبعضهم، امثال ووخان وجيان به تسان، باع طويل في معاداة الشيوعيين.

وفي حقل الأدب والفن، لم يأل ممثلو البرجوازية جهدا في ترويج الخطوط التحريفية الكاملة في الفن والادب لمناهضة الخط للرئيس ماو حول الأدب والفن، وروجوا بقوة ما دعوه من تقاليد ثلاثينيات هذا القرن. ومن نظرياتهم النموذجية نظريات حول ''الكتابة الصادقة'' و ''الطريق للواقعية'' و ''تعميق الواقعية'' ومعارضة ''ان مادة الموضوع هي العامل الحاسم'' و ''اشخاص الوسط'' ومعارضة ''ما يفوح برائحة البارود'' و ''مزج روح العصر'' و ''نبذ الكلاسيكيات والتمرد على الطريق التقليدي''. وبـ ''ارشاد'' من هذه النظريات، ظهرت مجموعة سيئة معادية للحزب والاشتراكية من المسرحيات والأفلام والروايات وتواريخ السينما والادب.

وفي حقل التعليم، بذل ممثلو البرجوازية أقصى جهودهم في معارضة السياسة التعليمية التي وضعها الرئيس ماو تسي تونغ، تلك السياسة التي تهدف الى تمكين المتعلمين من ان يتطوروا خلقيا وثقافيا وجسمانيا وان يغدوا شغيلة ذوي وعي اشتراكي وثقافة. ولم يأل ممثلو البرجوازية جهدا في معارضة نظام نصف عمل ونصف دراسة في التعليم، وفي ترويج ''نظريات'' ونظم تعليمية يتبعها المحرفون السوفييت. وقاموا بجهود يائسة لكسب الجيل الناشيء ونزعه من صفوفنا آملين عبثا تدريبهم ليكونوا ورثة للبرجوازيين.

وفي حقل الصحافة كرس ممثلو البرجوازية أنفسهم في سبيل معارضة الدور القيادي للصحافة، وروجوا المفهوم البرجوازي القائل بـ ''نشر المعرفة''. وقاموا بمحاولات يائسة لخنق قيادة الماركسية اللينينية وأفكار ماو تسي تونغ في العمل الصحفي، وذلك لترك الحبل على الغارب للمحظورات البرجوازية ولنزع القواعد الصحفية من ايدينا.

ان العنصر الأكثر رجعية وتحمسا في هذا التيار المعاكس هو طغمة ''قرية العائلات الثلاث'' المعادية للحزب. فقد كان لهذه الطغمة كثير من القواعد، فلها صحف ومجلات وندوات ومؤسسات نشر. ولها ذراع طويلة تمتد الى جميع اركان

الميدان الثقافي حيث اغتصبت بعض مراكز القيادة. ولها حاسة شم حادة للغاية لكل ما هو رجعي في الجو السياسي، واظهرت كتاباتها تناسقا وثيقا وسريعا للغاية مع كل ما هو رجعي في الجو السياسي. وبتوجيه وتنظيم دقيق بالعمل طبق خطة مرسومة وغرض معين، اعدوا الرأي العام لاعادة الرأسمالية وللاطاحة بديكتاتورية البروليتاريا.

لقد لعب ممثلوا البرجوازية الذين تسللوا الى الحزب دورا رئيسيا في هذا التيار المضاد. فلوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر، وارتدوا حلة الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ لمناهضة الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ. وتظاهروا بأنهم ''ثقات'' في الماركسية، و ''ثقات'' في توضيح سياسات الحزب وقاموا بلا تورع بنشر السموم وتضليل الجماهير. واستغلوا مناصبهم وسلطاتهم لاطلاق جميع انواع المردة من عقالها هذا من جهة، ومن جهة اخرى، قاموا بقمع الهجمات المضادة من قبل اليسار البروليتاري. انهم شرذمة من المتآمرين الذين علقوا لافتة الشيوعية ونشروا خلف تلك اللافتة، سموما معادية للحزب والاشتراكية. انهم اخطر الشخصيات.

وقد قمنا برد الهجمات التي شنها البرجوازيون منذ عام ١٩٥٩ بصورة مستمرة، وخاصة منذ نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، حين نشر الرفيق ياو وين يوان مقالته «حول المسرحية التاريخية الجديدة ''عزل هاي روي عن منصبه''»، فنفخ في نفير الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، وبدأت حملة جماهيرية مضادة لهجمات البرجوازية.

وفي هذا الهجوم المضاد، ارتفع الوعي السياسي لدى الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود والكوادر الثوريين والمثقفين الثوريين، الى مستوى لم يسبق له مثيل، وازدادت المقدرة الكفاحية بشكل هائل. وحطمت المعارك التي شنتها الجماهير طغمة ''قرية العائلات الثلاث'' المعادية للحزب واجتثت جذورها. ولم تكن تلك الجذور الا في اللجنة السابقة للحزب الشيوعي الصيني في بلدية بكين. وقد كان

يجري في قيادة اللجنة السابقة للحزب الشيوعي الصيني في بلدية بكين خط اسود معاد للحزب والاشتراكية. ولم يكن بعض اعضاء قيادة تلك اللجنة الرئيسيين ماركسيين لينينيين بل كانوا محرفين. وكانوا يسيطرون على كثير من المراكز والأجهزة، فمارسوا الديكتاتورية على طبقة البروليتاريا. انهم طغمة من الطامعين والمتآمرين. وقد فضحت مؤامراتهم وانزلت بهم الهزيمة. وقامت اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي الصيني باعادة تنظيم لجنة الحزب ببلدية بكين، وشكلت لجنة جديدة. وكان ذلك قرارا حكيما صائبا جدا وانتصار جديدا لافكار ماو تسي تونغ.

ومنذ اللحظة التي قمنا فيها بشن الهجوم المضاد الواسع النطاق في العام الماضي، حاق الاضطراب الكامل بممثلي البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر. وتلوا بسرعة خمس ''تعويذات'' لتأييد وحماية اليمينيين البرجوازيين ولقمع اليسار البروليتاري والهجوم عليه.

وقد قدمت احدى تلك ''التعويذات'' تحت اسم ''الانفتاح الواسع''.

فحاول ممثلو البرجوازية هؤلاء الذين تسللوا الى داخل الحزب ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر بما في وسعهم تشويه سياسة ''الانفتاح الواسع'' التي وضعها الحزب، وحاولوا ذلك عن طريق حذف المضمون الطبقي من هذه السياسة وتحويلها الى ليبرالية برجوازية. فسمحوا لليمينيين البرجوازيين فقط بـ ''الافصاح عن آرائهم''، ولم يسمحوا لليساريين البروليتاريين بالدخول في معمعة النضال. وسمحوا لليمينيين البرجوازيين فقط بالهجوم ولم يسمحوا لليساريين البروليتاريين بصد هجومهم. وسمحوا لليمينيين بـ ''الانفتاح'' بأوسع ما يستطيعون بينما وضعوا على الرف المقالات التي ارسلها اليساريون في الرد على ذلك الهجوم، او اجبروا مؤلفيها على اعادة كتابتها على ضوء آراءهم. وقالوا انه يجب الا تنقد مسرحية «عزل هاي روي عن منصبه» من زاوية سياسية، والا فان ذلك سيؤثر على سياسة ''الانفتاح الواسع'' ولن يتجرأ الناس على الافصاح عن آرائهم. ونحن نود ان نسأل هؤلاء السادة: هل ''انفتحتم قليلا ايها السادة؟ أ لم تهاجموا الحزب سياسيا بشكل

محارب يشهر سيفه ويهيء قوسه؟ فلماذا تمنعون البروليتاريا من ''الانفتاح الواسع'' لتصد هجوم اليمينيين البرجوازيين سياسيا؟ ان ''انفتاحكم الواسع'' قد اعطى فعلا الاشارة الخضراء للبرجوازيين كافة سامحة لهم بالمرور واعطى الاشارة الحمراء للبروليتاريا مانعة لهم عن المرور.

وجاءت ''تعويذة'' اخرى تحت اسم ''البناء فبل الهدم''.

فقام ممثلو البرجوازية هؤلاء الذين تسللوا الى داخل الحزب ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر، والذين تظاهروا بأنهم ''ديالكتيكيون''، بالصراخ قائلين ''البناء قبل الهدم'' حين صدت البروليتاريا هجوم البرجوازية. وبحجة ''البناء قبل الهدم''، لم يسمحوا للبروليتاريا بتدمير الايديولوجية البرجوازية ولا بالهجوم على القلعة السياسية الرجعية للطبقة البرجوازية. ان ''البناء قبل الهدم'' معارض للديالكتيك وافكار ماو تسي تونغ. فالرئيس ماو يعلمنا دائما بأنه لا بناء بلا هدم وما نريد ان نفعله اولا هو الهدم. والهدم يعني الثورة والنقد. والهدم يستلزم التعليل، والتعليل من ضمن البناء. لقد تطورت الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ في خضم النضال في سبيل تدمير الايديولوجية البرجوازية والانتهازية اليمينية والانتهازية ''اليسارية''. ان الدياليكتيكية التاريخية هي الهدم قبل البناء، والبناء في مجرى الهدم. أ فليست الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ، اجل حقيقة منذ القدم، تهني بناء؟ ونريد ان نسأل أولئك السادة البرجوازيين ما الذي تريدون بناءه؟ إن من الواضح جدا ان ما تريدون بناءه هو الايديولوجية البرجوازية الرجعية لا الايديولوجية البروليتارية الثورية. فلما ردت البروليتاريا باستخدام الماركسية اللينينية وافكار ماو تسي تونغ، بقوة لا تقاوم، هجوم البرجوازية وانطلقت تعمل لتدمير الايديولوجية البرجوازية صرختهم بـ ''البناء قبل الهدم'' لحماية اليمينيين ومنع اليساريين من شن الهجوم المضاد. وكانت تلك الضجة معارضة للثورة الثقافية البروليتارية.

وتليت ''تعويذة'' ثالثة فهي معارضة وكبح نمو ''طغاة العلماء اليساريين''.

وكلما صد اليساريون البروليتاريون هجوم البرجوازية قام ممثلو البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر باتهام اليساريين بـ ''الفظاظة'' وبأنهم يتصرفون كـ ''هراوة''، بحجة ''التدقيق'' و ''التعميق''. وفي الهجوم العارم المضاد لهجوم البرجوازية هذه المرة، استخدم ممثلو البرجوازية ايضا ''تعويذة'' معارضة وكبح نمو ''طغاة العلماء اليساريين'' في محاولة يائسة لكبح نمو اليساريين البروليتاريين وقمعهم. وذلك امر لا يمكن تحقيقه ابدا. اننا نقول ان لقب ''طغاة العلماء'' يلائمكم تماما انتم ممثلي البرجوازية و ''الثقات الاكاديميين'' البرجوازيين. فلقد تسللتم ايها السادة الى داخل الحزب لحماية وتأييد طغاة العلماء البرجوازيين، انكم طغاة الحزب الكبار وطغاة العلماء الكبار لا تقرؤون الصحف والكتب، وتنعزلون عن الجماهير وتتجردون من المعرفة، وتستخدمون القوة والسلطة لقمع الشعب. وان اليساريين البروليتاريين يتمسكون دائما بحقيقة الماركسية اللينينية وبحقيقة افكار ماو تسي تونغ، ويعتمدون على البراهين العلمية في نقد الايديولوجية البرجوازية. وليس هناك اية علاقة بين اليساريين البروليتاريين وبين ''طغاة العلماء'' بتاتا. اننا سندخل المعركة ضدكم مع قرع الطبول وتلويح الاعلام وسنهزمكم انتم يا ''طغاة العلماء'' البرجوازيين، ويا ايتها الحفنة من طغاة الحزب الكبار وطغاة العلماء الكبار، اننا نقول لكم ايها السادة الذين وصموا اليساريين بأنهم ''هراوات''، ان اليساريين هراوات فولاذية، هراوات ذهبية للبروليتاريا وسنستخدم هذه الهراوات في تدمير العالم القديم وذره ادراج الرياح، وسنهزمكم أنتم حفنة من طغاة الحزب الكبار وطغاة العلماء الكبار، وسنحطم مملكتكم الارضية. وهذا هو ما يسمى بديكتاتورية البروليتاريا.

وتليت ''تعويذة'' اخرى تحت اسم ''النقاش الاكاديمي المحض''.

وبغية تغطية هجمات اليمينيين البرجوازيين على الحزب والاشتراكية من جهة، وقمع هجمات اليساريين البروليتاريين المضادة من جهة أخرى، وصف ممثلوا البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم

الاحمر الصراع الطبقي في المجال الايديولوجي بأنه ''نقاش اكاديمي محض''. ونريد ان نسأل هؤلاء السادة: هل هناك شيء اكاديمي حقا في كتابي وو خان «شتم هاي روي للامبراطور» و «عزل هاي روي عن منصبه» وكلام دنغ توه ولياو موشا وشركائهما المعادي للحزب والاشتراكية؟ ان ''النقاش الاكاديمي المحض'' المزعوم خدعة يلعبها البرجوازيون دائما. فليس هناك شيء ''اكاديمي محض'' في المجتمع الطبقي، وكل شيء اكاديمي لا بد ان يبنى على نظرة طبقة معينة الى العالم ويخضع للسياسة ويخدم سياسة واقتصاد طبقة معينة بشكل او بآخر. وفي مجرى الهجوم المضاد الواسع النطاق هذه المرة استعمل ممثلو البرجوازية ''تعويذة'' ما يدعى بـ ''النقاش الاكاديمي المحض'' لمنع وضع السياسة في المكان الاول وذلك لكي يغطوا المسألة السياسية الحيوية التي تتعلق بالخانات السوداء – ''قرية العائلات الثلاث'' او ''قرية العائلات الاربع''، لوضع سياسة البرجوازية في المكان الاول، ولمعارضة وضع سياسة البروليتاريا في المكان الاول، ولجر هذا النضال العارم الى ناحية اليمين وتحويله الى طريق التحريفية.

وهناك ''تعويذة'' مهمة اخرى وهي: ''ان الجميع متساوون امام الحقيقة'' و ''لكل امريء نصيب من الآراء الخاطئة'' و ''كل الامور مرتبكة''.

وفي مجرى هجوم البروليتاريا المضاد للبرجوازية، تلي ممثلو البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر، هذه ''التعويذة'' ليجعلوا رجالهم يحافظون بعناد على مواقعهم ولا يتراجعون قدما واحدا من جهة، ومن جهة اخرى ليخلقوا الاضطرابات حتى يتمكنوا من الصيد في الماء العكر ويتحينوا الفرصة للقيام بهجوم مضاد.

ان شعار ''الجميع متساوون امام الحقيقة''، شعار برجوازي دما ولحما وشعار نفاقي تماما، اذ لا يمكن ان تكون هناك مساواة مطلقة بين الطبقات المتعارضة، والحقيقة لها طبيعتها الطبقية. والبروليتاريا في العصر الحاضر هي وحدها قادرة على استيعاب الحقيقة الموضوعية لان مصالحها الطبقية تتمشى تماما مع القوانين

الموضوعية. ولقد انفصلت الطبقة البرجوازية الرجعية المتعفنة عن الحقيقة منذ زمن بعيد. ف ''حقيقتها'' المزعومة ليست الا سفسطة تتعارض مع تيار العصر ومع القوانين الموضوعية. فلا يمكن ان تكون هناك مساواة مطلقة بين البروليتاريا والبرجوازية وبين الايديولوجية البروليتارية والايديولوجية البرجوازية وبين الحقيقة البروليتارية والسفسطة البرجوازية، فاما ان تتغلب الرياح الشرقية على الرياح الغربية واما ان تتغلب الرياح الغربية على الرياح الشرقية. أ فيمكن السماح بأية مساواة في قضايا اساسية مثل: نضال البروليتاريا ضد البرجوازية، وديكتاتورية البروليتاريا ضد البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا في البناء الفوقي بما في ذلك مختلف حقول الثقافة، وتطهير صفوف البروليتاريا بشكل متواصل من ممثلي البرجوازية الذين تسللوا بأنفسهم الى داخل الحزب الشيوعي ولوحوا ب ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر؟ ان الديمقراطيين الاشتراكيين القدامى في العقود الماضية والمحرفين المعاصرين في العقد الماضي أو أكثر لم يسمحوا مطلقا للبروليتاريا بأن تتمتع بأية مساواة مع البرجوازيين. وبرفع شعار ''ان الجميع متساوون امام الحقيقة''، لقد اراد ممثلو البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب ان يسندوا العناصر المعادية للحزب وللاشتراكية ويقمعوا هجمات اليساريين المضادة. ونود ان نسأل هؤلاء السادة: أ لم تثرثروا عن المساواة؟ فلماذا امسكتم عن نشر مقالات اليساريين بينما سمحتم لليمينيين وحدهم بنشر اعشابهم السامة الكثيرة؟ فأية مساواة هذه؟ ان علينا ان نقول لكم بصراحة اننا لن نسمح لكم مطلقا بأية مساواة مع البروليتاريا. فنضالنا ضدكم نضال حياة او موت. اما بالنسبة لامثالكم من العصابات المعادية للحزب وللاشتراكية، فالجواب هو الديكتاتورية ليس غير.

لقد كانت مناظرة ان ''لكل امريء نصيبا من الآراء الخاطئة'' وان ''كل الامور مرتبكة'' مؤامرة كبرى. اذ نقول: يجب اولا وقبل كل شيء رسم خط فاصل بين الطبقات، وبين الثورة ومعاداة الثورة. وفي مجرى تفهم الاحداث الموضوعية، ربما ارتكب اليسار الثوري خطأ او آخر، الا ان ذلك لا يمكن خلطه أبدا بأقوال واعمال اليمينيين البرجوازيين المعادية للحزب وللاشتراكية وللثورة. فالامران مختلفان

اساسا. ان التناقض الرئيسي في الثورة الثقافية الكبرى الراهنة هو التناقض العدائي بين الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين والجنود والكوادر الثوريين والمثقفين الثوريين من جانب واحد وبين الحفنة المعادية للحزب وللاشتراكية من ممثلي البرجوازية من جانبكم. وهذا تناقض بين الثورة ومعاداة الثورة، وتناقض لا يقبل المصالحة بين العدو وبيننا. اما بالنسبة لاقوالكم واعمالكم المعادية للثورة، فعلينا ان نعرضها جميعها للنقد بشدة ونهجم عليها بقرع الطبول. اما الافكار البرجوازية الاكاديمية العادية فيجب نقدها طبعا، الا ان ذلك يختلف تمام الاختلاف عن معاملة امثالكم من العناصر المعادية للحزب وللاشتراكية. ففي معاملتنا للعلماء البرجوازيين العاديين سنوالي تقديم ظروف العمل الملائمة لهم وندعهم يقوِّمون نظرتهم للعالم في مجرى عملهم بصورة مستمرة وذلك بشرط ألا يناهضوا الحزب الشيوعي والشعب. وحين نقوم بالضرب المضاد على هجمات البرجوازية يضج ممثلو البرجوازية الذين تسللوا الى داخل حزبنا قائلين: ''لكل امريء نصيب من الآراء الخاطئة'' و ''كل الامور مرتبكة''، ولا غرض لهم من ذلك الا تعقيد الامر على اليساريين محاولين عبثاً تعكير الماء وخلق اضطراب هائل يثأرون به لانفسهم. ان ذلك ليس الا جهد ضائع. اننا نسير حسب توجيه الرئيس ماو ونميز بين اليساريين والوسطيين واليمينيين فنعتمد على اليساريين ونكافح اليمينيين ونكسب الاغلبية ونتحد معها ونعلمها حتى نسير بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى حتى النهاية.

ان كل تلك ''التعويذات'' التي تلاها ممثلو البرجوازية الذين تسللوا الى داخل حزبنا ولوحوا بـ ''العلم الاحمر'' لمناهضة العلم الاحمر كانت موجهة الى هدف واحد الا وهو اخضاع البروليتاريا لديكتاتوريتهم. لقد اغتصبوا فعلا بعض المراكز القيادية في مختلف ميادين الثقافة وطبقوا الديكتاتورية علينا. فعلينا ان نعيد الاستيلاء على هذه المراكز ونطيح بممثلي البرجوازية هؤلاء.

ان احدى الميزات البارزة لممثلي البرجوازية الذين تسللوا الى داخل حزبنا هي مناهضة العلم الاحمر بينما هم يلوحون بـ ''العلم الاحمر''.

فكيف يمكننا تمييزهم؟ ان الطريق الوحيد هو ''قراءة مؤلفات الرئيس ماو واتباع تعاليمه والعمل طبقا لارشاداته''.

ان افكار ماو تسي تونغ تمثل قمة الماركسية اللينينية في عصرنا الراهن. انها الماركسية اللينينية الحية في اعلى ذراعها. إن نظريات وتطبيقات الرفيق ماو تسي تونغ تكون شبيهة بالحركة الدائبة للشمس والقمر في السماوات، وجريان الانهار والجداول اللامتناهي على الارض. ومؤلفات الرفيق ماو تسي تونغ هي اسمى مرشد لكل اعمالنا. ان الخط الفاصل بين الماركسية اللينينية والتحريفية وبين الثورة ومعاداة الثورة يعتمد على ان المرء اما ان يؤيد افكار ماو تسي تونغ ويعمل طبقا لها واما ان ينبذها ولا يعمل طبقا لها.

اننا نصادق على كل ما يتفق مع افكار ماو تسي تونغ ونؤيده. وسنناضل بلا وجل ضد كل من يعارض افكار ماو تسي تونغ وسنطيح به مهما علا منصبه وعظمت ''شهرته'' و ''سلطته''.

ويبدو كل واحد من ممثلي البرجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب كأنه ''عملاق''، الا انهم في الواقع كجميع الرجعيين ليسوا سوى نمور من ورق.

وما افكار ماو تسي تونغ سوى عجلة القيادة، والعمال والفلاحين والجنود هم القوة الرئيسية في الثورة الثقافية البروليتارية. ولكون الامر كذلك، فاننا قادرون بالتأكيد على انزال الهزيمة بكل انواع الغيلان، وعلى احراز النصر تلو النصر في الثورة الثقافية البروليتارية.

ويرى الاقطاعيون والفلاحون الاغنياء والمعادون للثورة والعناصر الفاسدة واليمينيون البرجوازيون في داخل بلادنا والامبرياليون والمحرفون في خارجها، بخبث وسرور ان باستطاعتهم جني بعض الفوائد حينما نكشف وننتقد طغمة ''قرية العائلات الثلاث'' المعادية للحزب، ونود هنا ان نخبر الرجعيين في الداخل والخارج بأنكم أكثر من الحمير غباءاً. ان الهدف المحدد من كشف ونقد طغمة ''قرية

العائلات الثلاث'' المعادية للحزب ومن اكتساح جميع الغيلان هو تخليص حزبنا وبلدنا من ممثليكم وتفكيك ''القنبلة الزمنية'' التي تضعون آمالكم. ومع تطور الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى اعمق فاعمق، سنغرس جذور افكار ماو تسي تونغ بشكل ارسخ بين ابناء الشعب في جميع ارجاء البلاد وسنجتث جذور التحريفية وجذور اعادة الرأسمالية. وسيسخر التاريخ منكم بلا شفقة ايها الحمير الاغبياء.

وافترى علينا الرجعيون في الداخل والخارج قائلين اننا نهاجم كل المثقفين. وهذا محض هراء. فرمح نضال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في الصين موجه ضد حفنة من الاشرار الذين يرفعون لافتة الشيوعيين بينما هم يروجون خلفها بضائعهم المعادية للشيوعيين، والمثقفين البرجوازيين المعادين للحزب وللاشتراكية وللثورة. اما بالنسبة للعدد الكبير من مثقفي المجتمع القديم فسياستنا هي الاتحاد معهم وتعليمهم واصلاحهم. وقد نمت صفوف المثقفين البروليتاريين باطراد في مجرى الثورة الثقافية الكبرى.

فيا ايها الثوريون، لنتحد جميعا بشكل اوثق على اساس افكار ماو تسي تونغ!

ولنسر الى الامام مظفرين، رافعين عاليا الراية الحمراء العظيمة لافكار ماو تسي تونغ والراية الحمراء العظيمة للثورة الثقافية البروليتارية!

عاشت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى!